

الرواية النسائية العربية بين البوح والتمرد

قراءة في نماذج روائية نسائية سعودية

The Arab Women's Novel: Between Confession and Rebellion

A Reading of Saudi Women's Novels

د.زهرة مزوني

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
الجزائر

Abdegam1@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/25

ملخص:

أصبحت كتابة الرواية النسائية وسيلة من وسائل الانعتاق، واثبات الذات، والدعوة إلى التحرر من القيود والعادات والتقاليد، وتجاوز السلطة الذكورية، التي تكبل حرية المرأة، و لذلك لجأت الروائية العربية في الوطن العربي، إلى الكتابة لتحتمي بها وتدافع عن حريتها، ولتعيد صوتها المسلوب. ولا تختلف الرواية السعودية عن نظيرتها العربية، إذ وجدت في كتابة الرواية الأداة لاستعادة حريتها ومكانتها وهويتها الضائعة.

الكلمات المفتاحية: الرواية النسائية - المرأة - الرواية العربية - الرواية السعودية.

Abstract:

Women's novel writing has become a means of emancipation, self-proof, and the call for freedom from restrictions, customs and traditions, and overcoming the male authority, which restricts women's freedom, and therefore resorted to the Arab novelist in the Arab world, to write to protect her and defend her freedom, and to restore her stolen voice.

Keywords: Women's novel - women - Arabic novel - Saudi novel

. مقدمة:

جاءت الرواية النسائية كرد فعل على الأوضاع التي كانت تعيش فيها المرأة. ف اتخذتها وسيلة وأداة للكشف عن معاناتها، وللتعبير عن الذات المغيبة والمهمشة، وللمطالبة بحقوقها في الحياة، وحقوقها في الكتابة. هذا الحق الذي استلب منها، وها هي تستعيد صوتها، وتسجل حضورها البارز واللافت للأنظار في الساحة الأدبية والثقافية في العالم العربي، وكانت الرواية الجنس الأدبي الذي اتخذته المرأة وسيلة للكشف والبوح والتنفيس عن آلامها وجراحها، والرواية كما تقول لمياء باعشن "ملك للمرأة"¹ لأن قدرة المرأة على الحكيم "أكبر من الرجل"².

صارت الكتابة شكلا من أشكال البوح، وبمخاطبة الاستعادة للذات من بعد غيابها وتهميشها، واستطاعت المرأة التحرر بفعل الكتابة بعدما كانت تكتب بأسماء مستعارة خوفا وخجلا، أصبحت الآن تكتب باسمها الصريح. كما اتسمت كتابتها في كثير من الأحيان بالجرأة، خاصة عندما تعرضت للحديث عن بعض الطابوهات كالجنس والدين. ولم تختلف الكاتبة السعودية عن نظيرتها العربية، إذ تناولت الرواية السعودية بعض القضايا بكل حرية لم تكن معهودة من قبل، من هذه الروايات نذكر: رواية "بنات الرياض" لرجاء صانع، ورواية "جاهلية" لليلى الجهنمي، ورواية "الأوبة" لوردة عبد الملك، ورواية "ثمن الشكولاتة" لبشائر محمد، ورواية "نساء المنكر" لسمر المقرن، ورواية "هند والعسكر" لبدرية البشر، وغيرها.

تحاول هذه الدراسة كشف موقف الرواية السعودية ورؤيتها لبعض القضايا في المجتمع السعودي، وذلك من خلال مجموعة من الروايات وقع عليها اختيارنا، منها رواية بنات الرياض لرجاء الصانع، ورواية نساء المنكر لسمر المقرن، ورواية هند والعسكر لبدرية البشر، وكل هذه الروايات صدرت ما بين 2005 و2008 .

إشكالية المصطلح الرواية النسوية أو النسائية:

ظهر ما يسمى "أدب المرأة" أو "الأدب النسائي" أو "الكتابة النسائية" على الساحة الأدبية، وهذه التسميات كما يقول الناقد بوجمعة بوشوشة: "هي صيغ ترادفية أثارت الكثير من الجدل عند ظهورها، لما اكتنف مضمونها من تعميم وغموض ولما أثارته من إشكاليات تتصل بمدى مشروعيتها وإمكان تصنيف الأدب على أساس الاختلاف الجنسي اعتبار الكلية الفعل الإبداعي الخلاق"³.

ونلاحظ أن بعض الدارسين يستعملون مصطلح "الأدب النسائي" وبعضهم الآخر "الأدب النسوي"، هذا الاختلاف يؤدي بدوره إلى الغموض، مثلاً الناقد إبراهيم محمود خليل، في كتابه "النقد الأدبي الحديث" يوظف مصطلح "الأدب النسوي" بينما الناقدة بثينة شعبان، والناقدة خالدة سعيد، والكاتبة لطيفة الزيات، يستعملن

مصطلح "الأدب النسائي". فما هو الأدب النسوي أو الأدب النسائي؟

مصطلح "الأدب النسوي" حسب إبراهيم محمود خليل هو: "الأدب الذي يؤكد وجود إبداع نسائي وآخر ذكوري لكل منهما هويته وملاحظته الخاصة وعلاقته بجذور ثقافة المبدع وموروثه الاجتماعي والثقافي، وتجاربه الخاصة من نفسية وفكرية تؤثر على فهمه للعالم من حوله والمرحلة التاريخية التي يعيشها"⁴.

وكل أدب يعبر "عن نظرة المرأة لذاتها، أو نظرتها للرجل وعلاقتها به، أو يهتم بالتعبير عن تجارب المرأة اليومية والجسدية، ومطالبها الذاتية، فهو أدب نسوي"⁵.

الأدب النسوي عند فهد حسين، هو "الأدب الذي تكتبه المرأة يحمل رؤيتها تجاه العالم، وما يتضمنه من كيفية بناء هذا العالم وفق مصطلح تخيلي، مثلما هو عند الرجل"⁶.

أما خالدة سعيد فهي ترى أن مصطلح "الأدب النسائي" مصطلح "شديد العمومية وشديد الغموض... هذه التسمية تتضمن حكماً بالهامشية مقابل مركزية مفترضة"⁷. ولهذا حسب رأيها هذا المصطلح بعيد عن الدقة والموضوعية "فالقول بكتابة نسائية تمتلك هويتها وملاحظتها الخاصة يفضي إلى واحد من حكمين: إما كتابة ذكورية تمتلك مثل هذه الهوية وهذه الخصوصية وهو ما يردها بدورها إلى الفئوة الجنسية فلا تعود صالحة كمقياس ومركز، وإما كتابة بلا خصوصية جنسية ذكورية، أي كتابة بالاطلاق كتابة خارج الفئوة، مما يسقط الجنس كمعيار صالح للتمييز بين ذكوري ونسائي"⁸.

فالناقدة ترفض هذا الأدب لأن فيه تمييز واضح بين المرأة والرجل. وترفض الدكتوراة لطيفة الزيات هذا المصطلح لأنه انتقاص من قيمة المرأة الأدبية والابداعية، تقول: "لأن المصطلح يدل في العربية والآداب الأخرى على نقص في الابداع وانتقاص من الاهتمامات النسائية المحدودة"⁹.

وتؤكد أن هذا المفهوم للمصطلح "لا يستند بأي شكل من الأشكال على تمحيص وتفحص للكتابات النسائية، بل هو حكم مسبق يعتمد على جنس الكاتبة للنص المكتوب"¹⁰.

وأضافت مبينة سبب رفضها لهذا المصطلح: "لقد رفضت دائما التمييز بين الكتابات النسائية وكتابات الرجال رغم شعوري بأن النساء والرجال يكتبون بشكل مختلف. والذي أملى علي هذا الموقف هو خوفاً من أن مثل هذا المصطلح سيلعب دوراً في إبقاء الأعمال النسائية في الدرجة الثانية في المجتمع والحياة".¹¹

يتضح لنا أن مصطلح "الأدب النسائي" يتأرجح بين مؤيد ومعارض، وأكثر المعارضين كن من النساء، من كاتبات وناقداً، منهن لطيفة الزيات، غادة السمان، خالدة سعيد.. وغيرهن. ورغم هذا الرفض لهذا المصطلح بسبب ما يثيره من تمييز بين أدب المرأة وأدب الرجل، إلا أنه يؤكد خصوصية الكتابة عند المرأة، تقول بثينة شعبان: "النساء يكتبن بطريقة مختلفة عن الرجال، ببساطة لأنهن مخلوقات مختلفة ولديهن تجارب تاريخية مختلفة واهتمامات حياتية مختلفة".¹²

المرأة والكتابة:

ارتبطت المرأة بالكتابة، فأصبحت الهواء الذي تنفسه، والغذاء الذي تستمد منه الحياة، تقول نوال السعداوي: "الكتابة عندي تشبه التنفس، لو لم أكتب لمت، بالضبط كأني لا أستطيع التنفس".¹³

ولا تختلف الكاتبة المصرية منى حلمي عن نوال السعداوي في اعتبارها الكتابة مثل الهواء الذي تنفسه لتبقى على قيد الحياة، تقول: "ربما أكتب لأن الكتابة عندي مثل التنفس، ولأنني أريد أن أعيش، تصبح الكتابة ضرورة للبقاء على قيد الحياة. أكتب لأن الكتابة تمنحني مبرر وجودي، لأستحق الحياة. أكتب لأقول إنني أكبر بكثير من الجسد المرئي الفاني الذي أحمله [...] أكتب لأنني بالكتابة أصبح فوق العالم، لا أخاف أحداً أو شيئاً حتى الموت، أصبح أكبر منه، أكتب لأعبر عن امرأة جديدة أعز ما تملك هو حريتها وابداعها، امرأة تحقق ذاتها من خلال عناقتها الحميم بالكون لا عناقتها الحميم بالرجل".¹⁴

هكذا أصبحت الكتابة وسيلة من وسائل إثبات الذات، ووسيلة لتحقيق وجودها والمطالبة بحريتها، تقول هند بطة رواية "هند والعسكر" "البدرية البشر: اكتشفت أن الكتابة عما أشعر به عمل سهل وآمن، صنعت لي الكتابة عالماً مشتركاً مع أناس كثيرين، اختارهم بنفسني، يحبونني وأحبهم. صنعت لي مغارة باردة حصينة لا يدخلها غيري، ولا يفتشها أو يعيث بأسرارها أحد، محصنة بشيفرة سرية لا يفكها إلا أنا، فوالداي لا يجيدان القراءة".¹⁵

الكتابة هي المتنفس الذي تهرب به من الواقع، وهو الوسيلة التي تساعد على التواصل مع الآخرين دون رقابة.

وتكشف الروائية السعودية "ليلى الجهني" سبب اختيارها للكتابة فتقول: "لماذا أكتب؟ ربما كي لا أموت. لا أدري. لكن الكتابة كما كتبت مرة، طريق وعر لمعرفة الذات. لدي مجاهر كثيرة، أحلام مجعدة، أحزان لا يسعها البكاء، خيبات، خيبات لا انتهاء لها، ولولا الكتابة لمث".¹⁶.

وتقول "زينب حفي" في عتبة الاهداء لروايتها "لم أعد أبكي" أنها تكتب لتثبت ذاتها ونفسها، تقول: "إلى نفسي، لأثبت حقها في البقاء"¹⁷.

الكتابة بالنسبة للمرأة وسيلة للبقاء، وأداة لتحقيق ذاتها ووجودها، وجسر للتواصل و للهروب من الهيمنة الذكورية، ولهذا غدت الكتابة عند الكاتبة وسيلة من وسائل المقاومة، و هي تتعلق بها لأنها الهواء الذي يبقها على قيد الحياة.

وقد اختارت الكاتبة العربية جنس الرواية، لأنه أكثر الأجناس الأدبية تعبيراً عن المجتمع وعن الواقع والذات، وهي حسب محمد برادة "أداة للتنفيس"¹⁸. وهي من أهم النصوص التي يمكن من خلالها قراءة مجتمع ما، ففيها نقرأ المجتمع بتفاصيله وهمومه، نقرأ حياة الناس اليومية وأحلامهم، ونحاول أن نشير إلى مواضع الألم والخلل¹⁹.

وقد اتخذت الكاتبة العربية و السعودية الرواية لممارسة حريتها، ولمواجهة المسكوت عنه في مجتمعاتها، وهكذا جعلت البناء الأساسي للرواية هو فضح التجاوزات التي مورست بحقوقها، ولتحقيق ذلك فإنها تستخدم لغتها الخاصة، لغة البوح تارة، ولغة التمرد تارة أخرى. فهي تفضح وتستنكر، تتكلم وتصرخ، تتساءل وتندد. والروايات التي بين أيدينا تعكس موقف الكاتبة من العالم الذي يحيط بها، وجاء خطابها في كثير من الأحيان صادماً، خاصة وقد تناولت بعض الطابوهات، مثل الجنس والدين، و لهذا فقد تعرضت بعض هذه الروايات إلى أن رفعت ضدها دعوى قضائية، كما حدث لرواية "بنات الرياض" لأنها "تطعن في شرف النساء في مدينة الرياض ولهذا ينطبق عليها حد القذف الشرعي"²⁰.

الرواية النسائية السعودية بين البوح والتمرد:

سنركز في دراستنا على أبرز القضايا التي عالجتها الرواية النسائية السعودية (بنات الرياض - نساء المنكر - هند والعسكر) وأول ما يلفت الانتباه أن كل عناوين الروايات تحمل الطابع الأثوي، الذي أدى إلى وظيفة تحديد مضمون الرواية، فالعنوان هو المفتاح الإجرائي الأول الذي يمكن من خلاله الولوج إلى عالم النص وكشف أسرار. وهو "علامة دالة على النص وخطاباً قائماً بذاته لكونه جزءاً من نمذجا فيه، وهو أيضاً شبكة دلالية يفتح بها النص، ويؤسس لنقطة الانطلاق الطبيعية فيه، والعنوان بوحى من الكاتب يهدف إلى تبئير انتباه المتلقي على اعتبار

أنه تسمية مصاحبة للعمل الأدبي مؤشرة عليه²¹. والمتلقي لهذه الروايات سرعان ما يكتشف علاقة الرواية بالجنس اللطيف، فالمرأة هي البطلة الرئيسية دون منازع، وهكذا كان حضور المرأة حضوراً بارزاً، فهي البطلة، والمركز الذي تدور حوله كل الأحداث، وغدا الرجل مجرد هامش، وكأن الرواية تنتقم من الكاتب الرجل الذي طالما همشها، وألبسها أدواراً ثانوية، فاستعادت بفعل الكتابة مكانتها، ومنحت المرأة فضاء واسعاً للبوح، وللتعبير عن آمالها وآلامها، دون قيد أو شرط.

جاءت رواية "بنات الرياض" لتعكس حضور المرأة (بنات) من جهة، ولتعكس المكان (الرياض) من جهة أخرى، وعليه لا يؤخذ العنوان الدال على المكان على أنه إيحاء مباشر عارٍ من الدلالات، بل هو علامة دالة اختارتها الكاتبة لتكشف عن حقائق صديقاتها كما تقول " سأكتب عن صديقتي... سيداتي آنساتي سادتي، أنتم على موعد مع أكبر الفضائح المحلية، وأصخب السهرات الشبابية... هو واقع نعيشه ولا نعيش فيه"²².

تجري أحداث رواية "بنات الرياض" كما يشير العنوان في مدينة الرياض، وهي عاصمة المملكة العربية السعودية، وأكبر مدنها من حيث عدد السكان، وهي المكان الذي تقع فيه معظم أحداث الروايات الأخرى، رواية نساء المنكر ورواية هند والعسكر. فكيف تجلت الرؤية الأثنوية في هذه الروايات للعالم، وما هي أبرز القضايا أو الموضوعات التي تطرقت إليها الروايات المدروسة؟.

الدين: شكل الدين نقطة جوهرية في أغلب الروايات النسائية العربية، ولا تختلف الرواية النسائية السعودية عن نظيرتها العربية، فالدين هو من أبرز القيود التي تكبل حرية المرأة، وبسببه تعيش دائماً في خوف وقلق، فهن مراقبات في كل مكان، في الأسواق والمحلات، جاء في رواية نساء المنكر: "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق، صرخات رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء، يتبعها تلقائياً تسارع في خطواتهن، وبلبلة وخوف وتوار خلف عمود أو حائط أو داخل أحد المحلات، لتتخلص بضعفها من قوة رجل الشرطة الدينية الذي بمقدوره أن يفعل بها ما يشاء"²³.

تقوم الرواية في مواضع كثيرة بانتقاد هذه الهيئة الدينية، التي تمارس سلطتها على النساء خاصة، فبطلة الرواية سارة تلتقي بصديقتها (رئيف) بأحد المطاعم بالرياض، ولم تمض سوى دقائق حتى جاء رجال الهيئة وأحاطوا بهما، حاول رئيف مقاومة رجال الهيئة، وادعى أن سارة زوجته، ولكنهم انقضوا عليه فكتفوه وسحبوه، وجر آخر سارة من عبايتها، وكأنها بجلوسها مع رجل ارتكبت أكبر الكبائر.

تروي سارة ما حدث لها: "ألقى بي في السيارة الصغيرة وأمسك بالباب وأغلقه خوفاً من هروبي أثناء السير، ثم أومأ بيده إلى زميله فركب في المقعد الأمامي بينما ركب الآخر إلى جانبي في الخلف وصار يضربني طوال الطريق على جسدي في كل اتجاه ونال رأسي النضيب الأكبر من الضرب حتى فقدت الوعي"²⁴.

وتسرد تفاصيل ما وقع لها وكيف أهينت، وعذبت "وهكذا اتهالت علي الضربات واحدة تلو الأخرى في المكان نفسه (البطن)، حتى أسقطتني ضرباته على أرض الكرامة المهذرة، فتشربها جسدي بأكمله، ورأسي الذي تطن به أصوات المقهورين قبلي وبعدي في هذه الغرفة، وكذلك حواسي جميعها تشربت رائحة الظلم"²⁵.

بعد ساعات من العذاب والضرب، يقوم رجال الهيئة بإجبارها على امضاء أوراق تقرر فيها بالجرائم التي نسبوها هم إليها، وعندما ترفض التوقيع على جرائم لم ترتكبها، ينهالون عليها بالسب والشتم والرفس والركل، تقول "سارة": "ما إن أعلنت له رفضي، حتى شعرت بصفعة قوية لا أدري في أي جهة من رأسي استقرت. فتح الباب بعصبية شديدة، ونادى بصوته الأجش العالي: "يا شيخ عبيد، يا شيخ عبيد، تعال نبي فرعتك"

ودخل الشيخ عبيد الذي جاء متسلحاً، فمن الواضح أن الأدوار مرسومة، ولكل واحد في هذا المكان مهامه. كان يدرك الشيخ عبيد أن المعونة المطلوبة منه ستكون من نوع آخر، فهو يحمل بيده العدة، عصا خشبية عريضة الرأس دقيقة الساق، ملفوف عليها لاصق أسود، قامت بتحيتي على أكمل وجه، والرأس بالرأس، فأسقط ضربات تلو الأخرى برأسها على رأسي، وأراد أن يستمتع بيده فتارة يضرب بالعصا وتارة بيده حتى غطت الدماء وجهي ولم أعد أعي ما يحصل"²⁶.

قدمت الرواية صورة قائمة لهؤلاء الذين اتخذوا الدين كغطاء لممارسة ساديتهم، فما يحصل هو "جريمة كبرى، ليست بحقي، فحسب بل هي جريمة بحق الإنسانية، وبحق وطني، وبحق الدين الإسلامي الذي يتصرفون باسمه، ويريدون توظيفه في إهانة البشر وسحق كرامتهم"²⁷.

والمرأة دائماً تتحمل أضعاف ما يتحمله الرجل، فرجال الهيئة يميزون بين الرجال والنساء، ولا يطبقون ما شرعه الله تعالى، فرئيف صديق سارة "لم يسجن سوى ثلاثة أشهر مع خمسين جلدة، وكانت عقوبته أخف من عقوبتي بكثير مع أنه من المفترض أن الجرم واحد. فحتى القرآن الكريم الذي يدعي هذا القاضي بأنه يطبق شرعه لم يفرق بين عقوبة الرجل والمرأة في مثل ما اتهمنا به"²⁸.

وليس سارة وحدها في رواية "نساء المنكر" التي قامت بانتقاد رجال "الهيئة"، بل نجد صوت النساء وهو يندد وينتقد هذه الهيئة في مواضع كثيرة من الرواية، فهي هي خولة، إحدى السجينات مع البطلة سارة، تستهجن موقف

الهيئة التي أخذتها من بيتها بعد ليلة حب قضتها مع عشيقها، تقول: "بعد أن انتهت ليلتنا ودعته على باب المنزل... وبعد أقل من خمس دقائق قُرع جرس الباب... وما إن شرعت بفتح الباب... حتى اندفع جماعة من رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم وضعوا السلاسل حول معصمي عامر (حبيبها) ومثلها حول معصمي"²⁹.

وفي رواية "بنات الرياض" يلقي رجال الهيئة القبض على "لميس" الطالبة بكلية الطب، التي تعرفت على "علي" أخ صديقها "فاطمة". كان علي يكبرها بأربعة أعوام، وهو طالب بالطب أيضا، تعددت لقاءاتهما في المستشفى لشرح لها ما لم تفهمه من الدروس، ثم صارت تلتقي به خارج المستشفى، في أحد المقاهي، وخلال أحد لقاءاتهما في أحد المقاهي القريبة من المستشفى "انقضت عليهما جوقة من رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محاطين بأفراد من الشرطة واقتادوها بسرعة إلى سيارتين منفصلتين... توجهتا بهما نحو أقرب مركز للهيئة. هناك بدأ التحقيق معهما، لم تستطع لميس تحمل الأسئلة الجارحة التي وُجّهت إليها، راحوا يسألونها عن تفاصيل علاقتها بعلي بفضاظة، ويسمعونها كلمات تخجل من التلفظ بها أمام أقرب صديقاتها"³⁰.

لم تتعرض "لميس" هنا للضرب، بل تعرضت للتجريح والاهانة، حيث عاملها رجال الهيئة معاملة "الساقطة" ولذلك استعملوا ألفاظا لا أخلاقية، لا يمكن لأحد سماعها، ويمكن أنهم لم يستعملوا معها الضرب مثل "سارة" بطلة رواية "نساء المنكر" لأنها من أسرة غنية، معروفة جدا في الرياض.

قام رجال الهيئة باستدعاء والدها وأخبروه "أنه تم ضبط ابنته مع شاب في أحد المقاهي وتم ترحيلها للسجن وعليه أن يأتي لاستلامها بعد أن يوقع تعهدا بعدم تكرارها لهذا الفعل المخل بالآداب مرة أخرى"³¹.

وتكشف الكاتبة من خلال البطلة "لميس" الاضطهاد الممارس ضد الشيعة في الرياض، رغم أنهم مواطنين سعوديين، إلا أنهم يعاملون معاملة مختلفة عن غيرهم، ولهذا تشعر لميس بالشفقة على "علي" "بعد أن سمعت الشرطي يهمس في أذن والدها في مبنى الهيئة أنهم اكتشفوا أن الفتى الذي كان معها من الرفض، وأن عقابه سوف يكون أقسى بكثير من عقابها هي"³².

فالكاتبة تفضح ازدواجية التي يتعامل بها رجال هيئة الذين يدعون أنهم يطبقون الدين الإسلامي، وأنهم يسعون في عملهم هذا إلى نشر الفضيلة، والدعوة إلى اتباع كل السبل النبيلة، وإذا بهم هم بعيدون كلياً عن الإسلام.

وفي رواية "هند والعسكر" يقوم رجال "الهيئة بإلقاء القبض على "عواطف" و"ماجد" وهما داخل المكتبة، فبمجرد الاشتباه يتم إلقاء القبض على المشتبه فيهم، وتوجيه تهم بعيدة عن الواقع، تقول "عواطف": "لم يمض على دخولي إلى المكتبة سوى دقيقتين، ذهبت لأخذ من ماجد شريطا يتضمن أغاني نسخها لي من الإنترنت، وقفت خلف

رفوف كتب الأطفال، وراحت مي (أختها الصغيرة التي كانت معها) تتفرج على أغلفة القصص الملونة، تنتقي واحدة ثم تضعها لتختار أخرى. تقدم ماجد نحوي، لم يمد يده ويصافحني، كنا خائفين، وقف بجانبنا، صرنا نتحدث بهدوء، لم تمض دقيقتان على حديثنا حتى جاء أحد رجال الهيئة "أقبل نحونا مثل نسر، أجنحة عباءته السوداء الخفيفة تطير خلال تقدمه السريع، كان يحدق في عيني، تعلق عيناى بعيني، شلني الخوف، تجمّدت رجلاي في مكائهما، لم أستطع أن أفعل شيئا أو أتفوه بأية كلمة. شعرتُ بظلام عباءة سوداء تهبط علي" ³³

تحول رجال الهيئة حسب الكاتبة إلى مصدر للرعب والخوف، حتى منظرهم يثير الرعب في النفوس ويشلها عن الحركة.

وبعد القبض عليها وعلى "ماجد" يطلبون منها أن تعترف بالجرم المنسوب إليها، وأن توقع على الأوراق التي فيها اعترافها بشيء لم ترتكبه، وعدوها إن قامت بالتوقيع على الاعتراف الذي كتبوه هم، أن يخلوا سبيلها وأن لا يتم اخبار أي أحد من أهلها بما قامت به، وبعد تنفيذها لما أرادوا، استدعوا أخاها إبراهيم الذي "قالوا له القصة الملفقة ذاتها. هم كاذبون" ³⁴.

انهم "كاذبون" هكذا تصرح الساردة، فزيادة على الظلم، والقسوة، والتعسف، فهم يكذبون ويختلقون التهم لمن يقعون تحت قبضتهم، وكل هذا باسم الدين، لقد استغلوا الدين ليسطوا سلطتهم على الناس، ولهذا أصبحت صورتهم قائمة في نظر سكان المملكة العربية السعودية، خاصة بالنسبة للنساء، و هم يفضلون "الليبراليين" على "الإسلاميين" أو المتأسلمين كما ورد في رواية "نساء المنكر" ولعل الفارق الوحيد بينهم الذي يجعل الليبراليين أجمل صورة في عيوننا أنهم لا يملكون سلطة في البلد تجعلهم يبطشون كما حال المتأسلمين ³⁵.

هكذا يتبين لنا أن كل الروايات المدروسة ركزت على معاناة السعوديين وخاصة السعوديات مع رجال الهيئة المعروف والنهي عن المنكر، فهذه الهيئة أصبحت جحيما ما لا يطاق، حولت الفضاء السعودي إلى سجن كبير، لا يستطيع فيه أحد أن يسير بحريته، أو يجلس براحته، فرجال الهيئة في كل مكان، وذلك بمساعدة جواسيسهم الذين ينقلون إليهم أدق التفاصيل. ولهذا يختار البعض الهجرة إلى الغرب، أو السفر لممارسة حريته. تقول سديم لصديقاتها عن عشيقها فراس: "ما أكذب عليكم، بصراحة أنا كنت ميتة أبغي أشوفه ! طول السنة اللي فاتت ما شفته بسبب دراستي وشغله، ولأننا اثنيينا متفقين على إن المقابلات بيننا في الرياض بتكون صعبة ومحرجة وغير مريحة مثل برا. برا الواحد يأخذ حريته وأقدر أقابله بأي مكان عام لكن هنا لا. ³⁶

الحجاب: أعلنت بطلنة رواية "نساء المنكر" أن النقاب في عرفها لم يعد سترا وعفة لجسدها، إنما هو وسيلة لممارسة الرذيلة، تقول: "هذا النقاب شكل شخصية نسوة المنطقة وترك لهن وهم القناعة بأنه يضمن لهن حرية، ما دُمن

خلفه بمقدورهن أن يمارسن المراقبة بكل اطمئنان، وإن أردن أيضا أن يمارسن الدعارة فلا مانع لكونهن شخصيات مجهولة ومحجوبة عن الآخرين³⁷.

وداخل هذا النقاب تعيش النساء السعوديات كل المتناقضات، ويبرز هذا التناقض في موقفهن من الحجاب، فبمجرد أن يصعدن إلى الطائرة يقمن بنزع الحجاب والنقاب، وهذا دليل على أنهن لا يمتلكن الخيار في بلدهن " قبل هبوط الطائرة في مطار هيثرو ، توجهت سديم نحو حمام الطائرة وقامت بنزع عباؤها وغطاء شعرها لتكشف عن جسم متناسق يلفه الجينز والتي شيرت الضيقان، ووجه بريئ التقاطيع تزينه حمرة الخدود الخفيفة "البلاشر" وقليل من الماسكارا ومسحة من ملمع "لبلوس للشفاة"³⁸.

وهناك من النساء من يجبرها زوجها على نزع الحجاب لأنه يسبب له الاحراج في المحيط الذي يعيش فيه، ومثال ذلك قمره وهي إحدى بطالات رواية "بنات الرياض" التي تزوجت من "راشد" زواج تقليدي، وتوجهت معه إلى شيكاغو التي اختارها لبدأ فيها تحضيره الدكتوراه في التجارة الالكترونية .بعد وصولهم إلى شيكاغو أصبح يعاملها معاملة سيئة، وكان ينظر إليها باحتقار، خاصة وأنها حافظت على حجابها، لم تنزعه بمجرد سفرها خارج بلادها مثل بقية السعوديات، إلا أن زوجها وجد في منظرها الملتزم منظر ازعاج " ليش ما تلبسين ملابس عادية مثل باقي الحريم؟ كأنك تتعمدين تخرجيني قدام أصدقائي بهذه الملابس المبهذلة أو تسأليني ليش ما أطلع معك!"³⁹.

صورة الرجل: جعلت الروايات المدروسة المرأة راوية لتعبير بخطابها عما تعانيه، وأبرزت شخصية الرجل، وكيفية معاملته للمرأة، كما أبرزت معاناة هذه الأخيرة في ضوء السلطة الذكورية والمجتمعية.

الرجال كما جاء في رواية "هند والعسكر" "يملكون عالما واسعا يلهون فيه ويتخفون من مسؤوليات الأطفال والحياة، بينما تحاط النساء بالتقاليد الضيقة ، وقلق الأمهات عليهن ليس بسبب الخوف عليهن ، بل خوفا من حوادث الشرف المعيبة"⁴⁰.

النساء أدوارهن محصورة، وهن دائما مقيدات بالتقاليد والعادات عكس الرجال الذين كما تقول بطلة رواية "هند والعسكر" : " الحياة بالنسبة للرجال مكان واسع يتأرجحون فيه كيفما يشاؤون... لهم الشوارع يقودون فيها سيارتهم بجنون، ولهم المقاهي ،والشطان البحرية، والشقق الخاصة للهوم غير البريء"⁴¹.

المرأة لا تملك حرية الاختيار ،عكس الرجل الذي يملك كل شيء ،ورغم كل الهالة التي أحيطت به ،إلا أنه كما تذهب رواية "نساء المنكر" مخلوق ضعيف: " مما زاد يقيني بأن المخلوق المنعوت ب"الرجل" لا يملك القوة التي بجلوه من أجلها ورفعه بها على المرأة. كل امتيازات الرجل على المرأة لا تعدو قدرته على حمل بضعة كيلوغرامات ،أما في شكله الخارجي فلا يزيد لها إلا طولاً في بعض الأحيان وزيادة في عرض الكتفين"⁴².

تقول ميشيل إحدى بطالات رواية "بنات الرياض" لصديقتها سديم: "تأكدي يا سديم أن فراس وفيصل رغم الفارق الكبير في السن بينهم لكن اثنينهم من طينة واحدة، سلبية وضعف واتباع للعادات والتقاليد المختلفة حتى إن استنكرتها عقولهم المتنورة! هاذي هي الطينة اللي خلقت منها شباب هذا المجتمع للأسف. هذولي مجرد أحجار شطرنج يحركها أهاليهم، ويفوز في اللعبة اللي أهله أقوى!"⁴³.

فالرجل ضعيف الشخصية، وهو خاضع لأهله، لا يستطيع فرض رأيه، مهما بلغ مستواه الثقافي، فهو محكوم بالمحيط الذي يعيش فيه، مثل شخصية فيصل في رواية "بنات الرياض" الذي رفض أهله أن يتزوج من "ميشيل" لأن أمها أجنبية. وكذلك شخصية "فراس" الذي رفضت عائلته تزويجه من "سديم" المطلقة.

الرجل الشرقي كما تشير الروايات رجل ضعيف الشخصية، لا يستطيع المحافظة على حبه، واختياره لأن الأسرة وقوانينها أقوى منه. وهو بالتالي يتحمل المسؤولية الكاملة لفشل علاقته بمن يحب. وكذلك لفشل الزواج. لأنه ضعيف ومحكوم بقيم ذكورية مجتمعية سلبية.

الزواج: يظهر الزوج في كل الروايات المدروسة، زوج قاس، يسيئ معاملة زوجته، وخائن. فالرجل كما جاء في رواية "هند والعسكر"، متغطرس، لا ينظر إلى الزوجة كزوجة لها حقوقها، بل يقوم بإهانتها تقول بطلة الرواية "هند": "بسببه صار أكثر ما يضجرتني في هذا العالم هو أنني امرأة، بسببه تأكدت أن الرجال في عالمنا يملكون علما واسعا يلهون فيه"⁴⁴.

وراشد زوج قمر في رواية "بنات الرياض" يعامل زوجته معاملة سيئة، لأنه أجبر على الزواج بها تقول: "زوجي الذي أحبه يكرهني يبغني يطفشني"⁴⁵.

وتكتشف بعد مدة سبب هذه المعاملة القاسية وذلك لارتباطه بفتاة يابانية تدعى كاري، رفض أهله زواجه منها، وأجبروه على الزواج بقمر، لهذا ينتقم منها، ويجبرها على تناول حبوب منع الحمل، نتيجة رفضه لها، وبعد حملها يعيدها إلى أهلها ويطلقها.

ويتكرر مشهد الخيانة في شخصية وليد الذي خطب سديم وعقد قرائنها، واستمرت العلاقة بينهما مدة طويلة، وترضخ سديم لطلبات خطيبها، فتسلمه جسدها. ومنذ ذلك اليوم يتعد عنها، ويغلق هاتفه وبريده الإلكتروني، وذلك أن هذا الأخير بعد أن سلمته نفسها، شكك في سلوكياتها وأخلاقها.

الزواج: طرحت الروايات معاناة المرأة بعد الزواج، الذي غالبا ما ينتهي بالطلاق بسبب استهتار الرجل وخيانتته، ولهذا اعتبر الزواج قيدا وسجنا للمرأة، وتصرح الروايات بحرية العلاقات، فالعلاقات غير الشرعية بين عاشقين أحسن من علاقة زوجية غير مبنية على الحب.

نجد مثل هذه الدعوات في كل الروايات المدروسة، ففي رواية "نساء المنكر" تقارن البطلة بين علاقتها بعشيقها "رئيف" والعلاقة بين زوجين تزوجا منذ مدة طويلة: "الحب الذي مارسه مع رئيف ليلة كاملة كان أقوى وأكبر من عشرة زوجين لربع قرن في بيت متهالك العواطف مترامي الإحساس بالآخر"⁴⁶.

الزواج يؤدي إلى التعاسة، تقول الساردة في نفس الرواية: "هذه بيوتنا لا يعيش فيها الأزواج إلا مع وقف التنفيذ وعندما يخرجون إلى الناس يجدون أنفسهم أبدع فنا وإتقانا لأدوارهم في إقناع الآخرين بأنهم سعداء وهم في الحقيقة لم يتقنوا في حياتهم إلا ممارسة التعاسة؟! "⁴⁷.

والمرأة نتيجة ذلك تبحث عن الحب عبر الهاتف وشبكات التواصل "الانترنت". فالهاتف "هو المتنفس الوحيد تقريبا للحب الذي جمع سديم وفراس، مثل كثير من الأحياء في بلدهما. لذلك أسلاك الهاتف في هذه البلاد كانت قد اتسعت أكثر من غيرها من البلدان الأخرى لتحمل كل ما يسري فيها من قصص العشاق وتنهاتهم وتأوهاهم وقبلاهم"⁴⁸. أما لميس وقمرة فقد تعرفتا على أصدقائهما من خلال التشات ، وبعد الرسائل الالكترونية، انتقلت العلاقة إلى الهاتف الجوال.

بفضل هذه الوسائل اخترقت المرأة المحاذير الصارمة وكأنها وجدت الوسيلة للتمرد على الطابوهات المانعة وعلى السلطة الاجتماعية والذكورية.

فسارة في رواية "نساء المنكر" بدأت حكاية حبها عبر الهاتف وشاشات الكمبيوتر "الحب الذي يبدأ عبر أسلاك الهاتف وشاشات الكمبيوتر يجعل الوقوف الأول في حضرة الحبيب أمرا ليس سهلا"⁴⁹.

والروايات لا تتوقف عند حد الاتصال، بل تتحدث عن لقاء بين العاشقين، وغالبا ما يكون هذا اللقاء خارج السعودية، في لندن مثلا كما جرى في رواية "نساء المنكر" حيث تتعرف سارة على رئيف، وهو شاب سعودي، وتنشأ بينهما علاقة حب، ويتفقان على اللقاء ، ويكون ذلك في لندن حيث يقضيان عشرة أيام معا.

والساردة تعتبر اعتراف "نورة" بالخيانة الزوجية أنه اعتراف صريح ، جيد ، يدل على قوتها ويؤكد اتزانها النفسي، وهي أحسن من النساء العفيفات ، الخجولات تقول: "هكذا كانت تعترف أمامي وأمام السجينات بعضهن

يعتبرن كلام نورة وقاحة، أما أنا فأنظر إليها نظرة إكبار إذ يكفي أنها متصالحة مع نفسها، وصراحتها تعكس واقعا وليست كالأخريات اللواتي يتحدثن بعفة ومثالية ولسن في الواقع سوى عاهرات⁵⁰.

- خاتمة:

من خلال ما تقدم يتبين لنا ما يلي:

- أصبحت الرواية الخيار الأمثل للمرأة للتعبير عن تجاربها ومعاناتها .
- فعل الكتابة بالنسبة للمرأة وسيلة للتحرر وللمطالبة بحقوقها وحريتها.
- الرواية النسائية السعودية المعاصرة خاصة التي ظهرت بعد سنة الألفين ، تنوعت بين البوح والتمرد.
- عالجت الرواية السعودية العديد من القضايا والموضوعات ، وكانت السلطة الدينية من أبرز المواضيع التي برزت في كل الروايات ، والنظرة إلى هذه السلطة سلبية ، قائمة.
- استأثرت المرأة بأدوار البطولة في كل الروايات المدروسة، أما الرجل فدوره كان ثانوي ، رغم أن الحديث يكون عنه، وعن معاملته لأخته أو ابنته أو زوجته، إلا أنه حُرّم من الكلام ، فلا صوت يعلو فوق صوت المرأة.
- لم تكتف الروايات بوصف معاناة المرأة ، بل انتقلت من البوح إلى التصريح بحرية العلاقات بين الرجل والمرأة، واعتبرت العلاقة غير الشرعية أسمى من العلاقة الزوجية.
- يظهر في كل الروايات المدروسة الانبهار بالغرب ، فهو النموذج الذي يجب أن يحتذى، يقول "رئيف" ل"سارة": "هذه بريطانيا العظمى قلعة الديمقراطية"⁵¹. أما الوطن فيظهر في صورة سلبية ، ولذلك فهم يحنون دوما إلى أوروبا ، ويحاولون تقليد الأوروبيين في كل شيء ، في لباسهم ، في احتفالاتهم، مثل الاحتفال بعيد الحب، وبرأس السنة الميلادية، شرب الخمر ، التدخين، وحتى تكوين علاقات محرمة ، وممارسة الزنا تحت اسم الحب، وغيرها.
- يمكننا القول في الأخير أن الكتابة عند المرأة لم تعد وسيلة للبوح ، بل أصبحت وسيلة للتمرد على الدين، والعادات والتقاليد ، والتمرد على القيم الأخلاقية بدعوى الحرية، وللأسف الشديد هذا حال أغلب الروايات في الوطن العربي، يمكن أن نذكر على سبيل المثال رواية "رجالي" ورواية "المتردة" للمليكة مقدم، ورواية "مزاج مراهقة" لفضيلة الفاروق، وغيرها.

- الهوامش:

¹- طامي بن محمد السميري، الرواية السعودية، حوارات وأسئلة واشكالات، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، ص 167.

²- المرجع نفسه، ص. 167.

³- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، دت، دط، ص 15.

⁴- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط4،

2011، ص. 134.

- 5- المرجع نفسه، ص134-135.
- 6- فهد حسين، السرد الخليجي النسوي، المرأة في الرواية أنموذجا، دراسة، مسارات للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2016، ص54-55.
- 7- خالدة سعيد، المرأة التحرر الإبداع، سلسلة بإشراف فاطمة المرنيسي، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص.85.
- 8- المرجع نفسه ، ص.86.
- 9- بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية، 1899-1999، دار الاداب، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص.24.
- 10- المرجع نفسه،، ص.24.
- 11- المرجع نفسه، ص.34.
- 12- المرجع نفسه، ص24-25.
- 13- محمد قاسم صفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث (1980-2007) أطروحة لنيل درجة دكتور في الفلسفة، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، تشرين الثاني، 2008، ص.330.
- 14- المرجع نفسه، ص.329.
- 15- بدرية البشر، هند والعسكر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط5، 2013، ص.45.
- 16- طامي بن محمد السميري، الرواية السعودية ،حوارات وأسئلة وإشكالات، ص529..
- 17- زينب حفي، لم أعد أبكي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2023، .
- 18- محمد برادة، الرواية أداة للتنفيس والجوائز تثيرها. موقع الكتروني:
- 19- نبيلة السيوف، قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2002، ص.30.
- 20- طامي بن محمد السميري، الرواية السعودية ،حوارات وأسئلة وإشكالات، ص6..
- 21- شعيب خليف، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص.11.
- 22- رجاء الصانع، رواية بنات الرياض، رواية الكترونية، ص.2.
- 23- سمر المقرن، نساء المنكر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص.12.
- 24- المصدر نفسه، ص.42.
- 25- المصدر نفسه، ص.43.
- 26- المصدر نفسه، ص.45.
- 27- المصدر نفسه، ص.44.
- 28- المصدر نفسه، ص.73.
- 29- سمر المقرن، نساء المنكر، ص.61.
- 30- رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.80.
- 31- المصدر نفسه، ص.80.
- 32- المصدر السابق، ص.81.
- 33- بدرية البشر، هند والعسكر، ص160.

- 34-المصدر نفسه، ص.161
- 35-سممر المقرن، نساء المنكر، ص.53
- 36- رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.102
- 37-سممر المقرن، نساء المنكر، ص.13
- 38-رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.73
- 39-المصدر نفسه، ص.29
- 40- بدرية البشر، هند والعسكر، ص.129
- 41-المصدر نفسه، ص.130
- 42-سممر المقرن، نساء المنكر، ص.9
- 43-رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.306
- 44-بدرية البشر، هند والعسكر، ص.123
- 45-رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.13
- 46-سممر المقرن، نساء المنكر، ص.17
- 47-المصدر نفسه، ص.17
- 48- رجاء الصانع، بنات الرياض، ص.166.
- 49- سممر المقرن، نساء المنكر، ص.12
- 50-المصدر نفسه، ص.48
- 51-سممر المقرن، نساء المنكر، ص.21.

قائمة المراجع والمصادر:

- 1-إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط4، 2011.
- 2-بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية 1899-1999، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- 3-بدرية البشر، هند والعسكر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط5، 2013.
- 4-بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، دط، دت.
- 5-خالدة سعيد، المرأة التحرر الإبداع، سلسلة بإشراف فاطمة المرنيسي، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دت، دط.
- 6-رجاء الصانع، رواية بنات الرياض، رواية الكترونية
- 7-زينب حفني، لم أعد أبكي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2023.

- 8- سمر المقرن، نساء المنكر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 9- شعيب خليفى، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- 10- طامي بن محمد السميوي، الرواية السعودية، حوارات وأسئلة واشكالات، دار الكفاح للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009.
- 11- فهد حسين، السرد الخليجي النسوي، المرأة في الرواية أمودجا، دراسة، مسارات للنشر والتوزيع، الكويت ط1، 2016.
- 12- محمد برادة، الرواية أداة للتنفيس والجوائز تثيرها، موقع الجزيرة، حاورته عزيزة بوعلام، الرباط، يوم 1 نوفمبر 2017، موقع الكتروني
- <https://www.aljazeera.net/culture/2017/11/1/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D8%AF%D8%A7%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%B3> "
- 13- محمد قاسم صفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث (1980-2007) أطروحة لنيل درجة دكتور في الفلسفة، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، تشرين الثاني، 2008.
- 14- نبيلة السيوف، قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2002.